طعن محمد أسد سبحاني في جمع القرآن الكريم في كتابه " بهجة الجَنان في تاريخ تدوين القرآن " – دراسة نقدية -

Muhammad Asad Subhani challenged the collection of the Holy Quran in his book " The Joy of Jinan in the history of the codification of the Quran " - a critical study-

عثمان بندو (١)*

Athmaneben2@gmail.com

ملخص البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة النقدية في أن كاتب الكتاب معاصر وكتابه هذا منتشر في كثير من المواقع الإسلامية كمرجع من مراجع علوم القرآن وقد شُوهِد وحُمِّلَ آلاف المرات، حاول فيه إثبات أن القرآن لم يُجمع في عهد الخليفتين وإنما قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فطعن في السنة والتفسير وأنكر الأحرف السبعة والرسم والقراءات وأقرّ بتحريف القرآن، والهدف من الدراسة هو التنبيه إلى أخطائه والرد عليها وذلك باستعمال المنهج التحليلي، والوصول إلى نتيجة مفادها أن ما وصل إلينا في جمع القرآن الكريم صحيح .

الكلمات المفتاحية: جمع القرآن، الأحرف السبعة، الرسم العثماني، القراءات المتواترة .

Abstract:

The importance of this study lies in the fact that the author of the book is a contemporary and his book is spread in many Islamic sites as a reference of the sciences of the Koran has been seen and downloaded thousands of times, in which he tried to prove that the Koran was not collected during the era of the two caliph, but before the death of the Prophet, peace be upon him .he challenged the Sunnah and Tafsir and denied the seven letters, drawing and readings and acknowledged the distortion of the Koran.

(١) * المؤلف المرسل

مقدمة :

لم يكن أحد يجرؤ على التأليف في العلم حتى يتحقّق مما يؤلّف، فإن العلم كان محروسا بسور منيع من المحققين والراسخين، وكان العلماء يتردّدون في التأليف خشية من الله تعالى، يقول العلامة المحقق المقرئ إبراهيم العبيدي : (قد سألني بعض إخواني وخاصة خلاّني أن ألخّص تحرير العلامة المنصوري على طيبة النشر في القراءات العشر ... فامتنعت من ذلك لكوني لست أهلا لسلوك تلك المسالك) وأمثال هذا كثير . غير أننا في هذا الزمان الذي توسعت فيه الأقطار وقلّ فيه الراسخون والمحققون واتسعت جهات المبطلين وانتشرت، امتلأت المكتبات بكتب كثيرة في علوم الدين المختلفة ومن هذه الكتب كتب مليئة بالأخطاء المنهجية، ومنها ما هو مليء بأخطاء لا تُغتفر، ولا يغرنّك عنوانها أو زخرفتها فعندما تفتح كتاب " بهجة الجنان في تاريخ تدوين القرآن " ستجذبك عبارة على غلاف الكتاب (نظرات جديدة ولفتات بارعة في تاريخ حفظ القرآن وضبطه، ونقطه وشكله، وجمعه وتدوينه)، فإذا تصفّحته وجدت نظرات غير سديدة ولفتات خادعة .

هذا الكتاب الذي يسعى كاتبه من خلاله إلى إثبات أن القرآن الكريم كان مجموعا في مصحف واحد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم منسوخا في نسخ كثيرة، في كل بيت مصحفٌ أو أكثر من مصحف، ولإثبات ذلك فقد قام الكاتب بالطعن في السنة النبوية وفي جمع الخلفاء الراشدين للقرآن وفي الأحرف السبعة والرسم العثماني وغير ذلك، حتى أنه طعن في القراءات الثابتة وألصق بكتاب الله عز وجل تهمة التحريف .

نحن لا ننكر أن القرآن الكريم كان مجموعا بمعنى الحفظ والكتابة، لكنه لم يكن مكتوبا في مصحف، بل كان متفرّقا عند الصحابة مكتوبا في اللخاف والعسب والرقاع وغيرها، فإذا أراد أحد أن يحفظ القرآن اتجه إلى القراء من الصحابة فأخذ عنهم شفاها وتلقينا، حتى إذا استحرّ القتل بهؤلاء القراء في اليمامة سخّر الله عز وجل الشيخين لينالا شرف جمع القرآن في مصحف واحد حتى لا يذهب القراء فيذهب ما حفظوا وما كتبوا، وقد كان أغلب القراء يجمعون بين الحفظ والتوثيق .

أسباب اختيار الموضوع :

الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع هي:

١- خطر المطاعن الكثيرة الموجودة في الكتاب والجرأة على القرآن الكريم والسنة النبوية والإقرار بتحريف القرآن وبأن السنة النبوية خرافة وروايات باطلة .

٢- انتشار هذا الكتاب في المواقع الالكترونية الدينية ومشاهدته وتحميله آلاف المرات على أنه كتاب من الكتب المهمة في مادة علوم القرآن .

٣- عدم اطلاعي على بحث أو كتاب يردّ على مطاعن الكاتب ويبيّنها ويحذّر منها .

إشكالية الدراسة :

ما مدى صحة نظرية محمد أسد سبحاني في تاريخ جمع القرآن الكريم في كتابه " تاريخ تدوين القرآن " ؟

الهدف من الدراسة:

عرض أهم مطاعن الكتاب في جمع القرآن الكريم والرد عليها .

منهج البحث:

المنهج التحليلي : وذلك بعرض مطاعن الكاتب وأدلته التي حاول بها إثبات نظرية جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونفي الجمع في عهد الخلفاء الراشدين، ثم تحليلها والرد عليها بالأدلة والبراهين .

خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

مقدمة.

المبحث الأول : إحياء الشبهات القديمة .

المطلب الأول : الطعن في كتب السنة النبوية .

المطلب الثاني : الطعن في كتب التفسير.

المبحث الثاني : الطعن في الأحرف السبعة والقراءات .

المطلب الأول : الطعن في الأحاديث المروية في بيان الأحرف السبعة .

المطلب الثاني : القراءة الواحدة .

المبحث الثالث : الطعن في الرسم العثماني .

المطلب الأول : الكتابة في عهد النبي الأميّ .

المطلب الثاني : إقرار الكاتب بتحريف القرآن الكريم .

خاتمة.

المصادر.

أسأل الله التوفيق والرشاد وأن ينفعني وإياكم به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والله تعالى أعلى وأعلم بالصواب وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

المبحث الأول : إحياء الشبهات القديمة .

ليثبت الكاتب أن القرآن الكريم لم يجمعه الخليفتان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما بل جمعه النبي صلى الله عليه وسلم في مصاحف كثيرة قبل موته، قرر الاستعانة بشبهات قديمة تطعن في السنة النبوية، لأن زعزعة قدسيّة السنة النبوية والطعن في الأحاديث مفتاح الكاتب في إثبات فكرته .

المطلب الأول : الطعن في كتب السنة النبوية .

الشيء الذي يملؤني غرابة هو اعتماد الكاتب على نفس طرق المستشرقين الذين حاولوا هدم هذا الدين بإنكار الرسالة المحمدية والتشكيك في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن أهدافهم (التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويتذرّع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودسّ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا بتنقية الحديث الصحيح من غيره ... والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول، فادّعوا أنّ هذا لا يُعقل أن يصدر كله عن محمد الأمّي، بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى).[٢]

هذا عمل المستشرقين، فكيف يُعقل بمسلم من أهل القرآن أن يحذو حذوهم ؟ فينسب إلى أئمة وعلماء الحديث غفلتهم عن معلومات وروايات دسّها أعداء الإسلام ورووها في الكتب، وحاول الكاتب أن يستثير شفقة القارئ، فقال عن هؤلاء الأئمة : (

[٢] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ٢١ .

نحن نحسن الظن بهؤلاء الجهابذة الأعلام، ونكنّ لهم كل حب وتقدير، ونظن أنهم برءاء من كل هذه المشاكل ومن كل تلك الموبقات) .

وفي محاولة لنيل عطف القارئ اعتمد الكاتب على تفعيل نظرية المؤامرة، فاتهم الورّاقين من الأعاجم أنهم هم السبب في دسّ هذه الأحاديث والمرويات في جوامع المحدّثين، والغريب أنه بصيغة (لعلهم) ينسب إلى علماء الحديث عدم تدقيقهم في مراجعة تلك النسخ التي كتبها الوراقون، وكأنّ العبث بكتب الحديث هو بتلك السهولة، وكأنّ الكاتب لم يقرأ عن سير علماء الحديث ودقتهم وإتقانهم، وكأن علماء الحديث لا يعرفون المتون والأسانيد، ثم هل يظنّ الكاتب بهذا الكلام أنه يدافع عن القرآن والسنة أم أنه يفتح بابا للطعن في القرآن والسنة ؟

هل من الإنصاف أن نقول عن علماء الحديث أنهم (نظروا إلى تلك الجوامع وتلك المسانيد بعين التقديس والإجلال، وتلقّفوها كما هي مطمئنين إلى صحة محتوياتها، ولم يخطر ببالهم أن هناك أياد خفيّة تعمل في الظلام لتكدير صفوها وشوبها بما ليس منها) .

متى حدث هذا ؟ وكيف ؟ إن هذا طعن في علماء الحديث الهدف منه الطعن في الأحاديث، ثم إن كلام الكاتب هكذا بصفة العموم يفتح أبوابا من الشبهات، فالكاتب لم يحدّد ما هي هذه الزيادات المدسوسة ولم يقدّم أدلة على كلامه .

لكن الكاتب لم يكن مهتما بالعواقب قدر اهتمامه بالوصول إلى إثبات نظريته، فهو لم يُرد من كلامه هذا إلا التوطئة للطعن في مرويات جمع القرآن التي تثبت جمعه في عهد الخليفتين، غافلا عن حجم الضرر الذي أصاب القرآن والسنة بسببه، نسأل الله لنا وله العافية .

إن الأمة التي يغفل محدّثوها عن التدقيق في الحديث النبوي ألا يغفل قراؤها عن التدقيق في القرآن الكريم ؟ وإذا كان المكتوب من الحديث قد تعرّض للدسّ والتحريف فكيف لا يتعرّض لمثله المكتوب من القرآن وهو غاية ما يريد أعداء الإسلام تحريفه ؟ فإذا كان الحظّ حالفهم بوجود زمن مناسب وعلماء غافلين فلماذا يحرّفون السنة ويدعون القرآن وهو أهمّ ؟

ومن أمثلة تشكيك الكاتب في الأحاديث الصحيحة استغرابه من أنّ أمرا عظيما كجمع القرآن يُسند إلى شخص واحد هو زيد بن ثابت رضي الله عنه، رغم أن ذلك مروي بالأسانيد الصحيحة، غير أن التشكيك في زيد يعني التشكيك في الجمع، وأريد أن أردّ على هذا الإشكال بطريقتي :

هل سمع الكاتب مرة أن مصحفا يحتاج أن يتداول على كتابته خطاطون كثير ؟ ولكنه يعلم أنه لمراجعة المصحف لابد من لجنة علمية مكونة من السادة القراء والعلماء .

كذلك كان زيد، فهو المكلّف بالجمع لأنه كان مؤهّلا لذلك حفظا وإتقانا ولمعرفته بالكتابة، وكبار الصحابة وقراؤهم بل وكلُّ الصحابة كانوا مشتركين في هذا العمل مراجعة وتوثيقا، فلم ينته العمل إلا بإجماع الصحابة على صحته .

قال اللبيب في شرحه للعقيلة : (فجمع عثمان الناس وكانوا نحو من اثني عشر ألفا) وأضاف : (فدعا عثمان زيد بن ثابت ونفرا من قريش وهم عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن العاص وأبان بن سعيد وعبد الله بن الحارث بن هشام وقال لهم : انسخوا هذه الصحف في مصحف واحد).[٣]

فهل يُعقل أن نقول بعد هذا أن زيدا وحده هو من قام بذلك ؟ (فما فعله صحابي واحد وأمر به فلنا الأخذ به والاقتداء بفعله، فكيف وقد اجتمعت الصحابة على كتب المصحف حين كتبوه نحو اثني عشر ألفا من الصحابة رضي الله عنهم، ونحن مأجورون على اتباعهم، ومأثومون على مخالفتهم) .

وزيد مقرئ متقن بارع كفء، هذا هو سبب اختياره، قال البغوي في شرح السنة : (يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأها عليه، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاّه عثمان كتب المصاحف) .[٤]

واستبدل الكاتب الأحاديث الصحيحة بقصة صنعها، تبدأ أحداث القصة بظهور " الورّاقين " الذين امتهنوا كتابة المصاحف ثم زادوا فيها وأنقصوا وبدّلوا وحرّفوا حتى

---

[٣] اللبيب، شرح أبيات العقيلة، ص ٢٠٦ .

[٤] شرح السنة للبغوي ٤/ ٥٢٥ .

ضاقت الأسواق بمصاحفهم المحرّفة في كل أقاليم الإسلام، فأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بإرسال مصاحف مختومة بختم الخلافة تُعرض كل المصاحف عليها، فما وافقها أُبقي عليه وما خالفها يُحرق .

أولا : هذه القصة باطلة من نسج خيال الكاتب .

ثانيا : يطعن الكاتب في حديث حذيفة ابن اليمان الموجود في صحيح البخاري، ثم يريدنا أن نصدّق هذه القصة من نسج خياله .

ثالثا : محاولة كسب التعاطف باستخدام نظرية المؤامرة لن يجد صدى لدى القراء، لأن الروايات الصحيحة بيّنة، وهذه القصة باطلة .

ومن الأحاديث التي طعن فيها حديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه وفيه : (قال الزهري فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت ولذلك قال عبد الله بن مسعود يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فإن الله يقول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة فالقوا الله بالمصاحف، قال الزهري فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) .

قال الكاتب : (والغريب أن الإمام الترمذي يعلّق على تلك الرواية بأنها حديث حسن صحيح، والموقف يوحي بأنها فرية بلا مرية، وأكذوبة من الأكاذيب، وسيدنا عبد الله بن مسعود برئ مما نُسب إليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب) .

قلت : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بشر، ومن حقّه أن يرى نفسه أصلح وأولى من غيره لكتابة المصحف، فهو من السابقين الأولين ومن المهاجرين ومن القرّاء وممن أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن منهم، لكنّه لم يُدرك ما أدرك حذيفة وعثمان فقد كان له رأي آخر يخالف رأيهما والرأيَ الذي أجمع عليه الصحابة، ثم استدرك الأمر فرضي بعد أن تبيّن له فائدة ما فعلوا، وقراءته بعد ذلك متواترة معدودة في العشرة، والعصمة إنما هي للمصطفى، والسنة سنته وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعده بصريح النص وصحيحه .

غير أنه من سوء الأدب أن يُقال عن حديث من الأحاديث أنه كذبة وفرية، وقد أحسن المحدّثون الأدب فقالوا هذا حديث صحيح وهذا حسن وهذا ضعيف، فكيف إذا كان الحديث صحيحا صحّحه العلماء ؟ ومنهم الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي [٥].

لأجل هذا هوى الكاتب بمعوله على مرويات الإمام الزهري، لأن أكثر مرويات جمع القرآن رواها الزهري رحمه الله، فاتهمه الكاتب بالتساهل في رواية الحديث، وهذا – كما قلت سابقا – ليقنع القارئ أن الزهري ضعيف الحديث، وهذا يعني أن أحاديثه التي رواها ضعيفة، وهذا يعني أن أحاديث جمع القرآن ضعيفة، فيُثبت بذلك نظريته وفكرته .

والزهري إمام حافظ ثقة، كذلك شهد له (الخلفاء والأمراء والعلماء المعاصرون، والتلاميذ والشيوخ في قرن الزهري وفي القرون التالية حتى يومنا، ولم تجتمع لأحد من طبقة الزهري والطبقات التالية من عبارات الإطراء والمديح والتوثيق كالتي قيلت في الإمام الزهري) .[٦]

وأخطر من هذا كله أن الكاتب وصف الأحاديث الصحيحة بأنها حكاية مصنوعة مزوّرة حيث قال : (ماذا فعل الشيخان في أمر القرآن ؟ وإذا، فالحكاية التي جاءت بها الروايات عن جمع القرآن وتدوينه في عهد سيدنا أبي بكر باقتراح من سيدنا عمر بن الخطاب وذلك على يد سيدنا زيد بن ثابت، تلك حكاية مصنوعة من أولها إلى آخرها، والأمة الإسلامية لم تجن من تلك الحكاية المزوّرة إلا أكلا خمطا وثمارا مرة عبر تاريخها الطويل) .

ألم يخش الكاتب على نفسه أن يصف أحاديث صحيحة بمثل هذا ؟ ولو اطّلع على دراسة واحدة كالتي قام بها الدكتور أكرم الدليمي في كتابه (جمع القرآن دراسة تحليلة لمروياته) لوجد فيها ما يشفي غليله، ومن الأحاديث الصحيحة في جمع القرآن حديث (رحم الله أبا بكر هو أول من جمع بين اللوحين) ومنها ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن في جمع القرآن بعد مقتل كثير من القراء في معركة

---

[٥] المحدث الألباني، صحيح الترمذي، ص ٢٥٣ .

[٦] الإمام الزهري لمحمد شرّاب، ص ١٩١ .

اليمامة عن ابن شهاب عن عبيد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، ومنها ما رواه البخاري عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حذّر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه من اختلاف الناس في القرآن،[٧] وغير هذه الأحاديث كثير، أيُعقل بعد ثبوت صحتها أن يقول فيها مسلم عاقل أنها حكاية مصتوعة مزوّرة ؟

ونحن نقول : إن القرآن وصل إلينا متواترا محفوظا، جنينا منه البركات والخيرات ورفع الله به أقواما ووضع به آخرين .

المطلب الثاني : الطعن في كتب التفسير.

جاء في تفسير الطبري لقول الله تعالى (إنّ علينا جمعه وقرءانه)[٨] : إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه (وقرآنه) يقول : وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (إن علينا جمعه) قال : في صدرك (وقرآنه) قال : تقرؤه بعد .

وهو الذي جاء في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جمعه لك في صدرك وتقرؤه، " فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه " قال : فاستمع له وأنصت، " ثم إن علينا بيانه " ثمّ إنّ علينا أن تقرأه .

يقول الكاتب أن في رواية البخاري عِللا وضعفا وراويا لا يجوز الاحتجاج به، رغم أن كل الرواة ثقات، وأغرب من ذلك قوله : (وهناك أمر مهمّ جدا، وهو أن الآيات التي تتصل بها الروايات هي آيات مكية نزلت في فجر العهد المكي، وسيدنا ابن عباس لم يكن موجودا في وقت نزولها حيث كان مولده قبل عام الهجرة بثلاث سنين، فهل يمكن أن يحاكي بن عباس ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام قبل مولده بسنين من غير أن يراه ؟) .

وهذا سهل يسير، فابن عباس أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عن كبار الصحابة، فالعلم ليس بالسنّ وإنما بالسؤال والاجتهاد والقبول .

---

[٧] جمع القرآن للدليمي، ص ٢١٤/١٣٧/١٢٩ .

[٨] سورة القيامة، الآية ١٦ .

إذن، هذه التفاسير الصحيحة تفسد مشروع الكاتب، فهو يريد أدلّة تبيّن أن القرآن قد جُمع في المصاحف لا في الصدور، وهو يريد أن نفهم أن الله تعالى خاطب نبيّه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بمعنى أنّه سيجمع القرآن له أي في المصحف، ولذلك استشهد الكاتب بحديث صحيح، غير أنّه فسّره على غير التفسير الصحيح، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال : ونحن ورثناه .

قال الكاتب : (فهؤلاء الأربعة جمعوا القرآن في حياة النبي عليه السلام، بشهادة أنس بن مالك، وهو وأهله ورثوا مصحف أبي زيد لقرابة بينهم) .

ثم أضاف : (ولا يقولنّ قائل إن الجمع في الروايتين هو حفظ القرآن عن ظهر القلب، وليس التدوين ، فإن قول أنس في رواية البخاري " ونحن ورثناه " لا يستقيم مع هذا المفهوم، حيث لا تجري الوراثة في الحفظ، وإنما تجري في القرآن المجموع المدوّن، وهو المصحف) .

قلت : وهذا عجيب، كيف استنبط الكاتب وجود علاقة بين الجمع والكتابة والإرث في هذا الحديث ؟ ولو عاد الكاتب إلى شروح الحديث لكفته المؤنة، وكانت له جُنّة، قال الحافظ بن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث : (وتقدّم في غزوة بدر من وجه آخر عن قتادة عن أنس قال : مات أبو زيد وكان بدريا، ولم يترك عقِبا، و قال أنس : نحن ورثناه) .[9]

فأنس يعرّف أبا زيد للناس، فهو رجل بدري لم يكن له عقِبٌ يرثونه، قال الحافظ بن حجر : (قال بن أبي داود : مات قريبا من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فذهب علمه ولم يؤخذ عنه) .

ولم يقصد أنس أنهم ورثوا مصحفا عنه، وليس في الحديث إشارة إلى ذلك ولا في شروحه .

وفي تفسير قوله تعالى (وقرآنه) قال الكاتب : (الأرجح في معناه كما يبدو من سياقه : إن علينا جمعه وترتيبه وضمّ بعضه إلى بعض، فربنا سبحانه وتعالى لم يتكفّل بجمع

---

[9] الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ١٥/ ١٠٨ .

القرآن فقط، بل تكفّل بجمعه وترتيبه وتدوينه بين الدّفّتين، وذلك في حياة رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى يتسنّى له اتباع ذلك الترتيب كما أُمر به) .

اكتفى الكاتب بتفسير هذه الآية (لا تحرّك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)[١٠] إلا أنها ليست الوحيدة التي جاءت في هذا المقام، فهناك آية تشبهها في سورة أخرى : (ولا تعجلْ بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) .[١١]

ذكر العلامة السعدي في تفسير الآية : (أي: لا تبادر بتلقّف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، واصبر حتى يفرغ منه، فإذا فرغ منه فاقرأه، فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه، كما قال تعالى: " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ " ولما كانت عجلته صلى الله عليه وسلم، على تلقف الوحي ومبادرته إليه، تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه، أمره الله تعالى أن يسأله زيادة العلم، فإن العلم خير، وكثرة الخير مطلوبة، وهي من الله، والطريق إليها الاجتهاد، والشوق للعلم، وسؤال الله، والاستعانة به، والافتقار إليه في كل وقت) .[١٢]

أليس هذا وحده كافيا لبيان خطأ الكاتب، فهو يترك التفاسير المأثورة الصحيحة ويفسّر القرآن على هواه، ويتعمّد الاستدلال بدليل واحد ويترك أدلّة أخرى خشية التناقض، ويطعن في أحاديث صحيحة تفسّر هذه الآيات ويصفها بالعلة والضعف ، نسأل الله العافية .

المبحث الثاني : الطعن في الأحرف السبعة والقراءات .

أراد الكاتب إثبات أن القرآن الكريم جُمع في مصحف واحد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكنّ ثبوت الأحرف السبعة والقراءات المتواترة يفسد عليه نظريته الجديدة، فما كان عليه إلا أن حاول إثبات عدم وجود الأحرف السبعة والقراءات المتواترة، بل هي – حسبه – قراءة واحدة .

المطلب الأول : الطعن في الأحاديث المروية في بيان الأحرف السبعة .

---

[١٠] سورة القيامة، الآية ١٦ .

[١١] سورة طه، الآية ١١١ .

[١٢] تفسير السعدي، ص ٥٩٩ .

روى أهل السنن قصة اختلاف عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما في قراءة القرآن، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة " الفرقان " على غير ما أقرؤها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، وكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه ، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها فقال لي : أرسله، ثم قال له :اقرأ، فقرأ، قال : هكذا أنزلت ثم قال لي : اقرأ، فقرأت فقال : هكذا أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا منه ما تيسر.[١٣]

والحديث صحيح، غير أن الكاتب تحدث عن غموض وإبهام فيه، قال : (هذا ما رووه من قصة سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا هشام بن حكيم في قراءة القرآن على أكثر من وجه، وهذه القصة فيها غموض وإبهام شديد، فهي لا تعطينا صورة واضحة لنوعية الاختلاف في قراءتهما ولا تفيدنا كيف قرأ هشام بن حكيم وكيف قرأ عمر بن الخطاب وماذا كان بين قراءتهما من فرق واختلاف ، والرواية إذا كان يحيط بها مثل هذا الغموض وهذا الإبهام فهي تفقد قيمتها العلمية وليس فيها أي حجة لمن يقول : تجوز قراءة القرآن بكل ما يمكن من وجوه القراءات) .

ولم يفهم الكاتب المراد من الحديث، فإنه وإن لم يبيّن وجه الاختلاف بين قراءتيهما إلا أنّه بيّن وجود اختلاف بين صحابيين أحدهما من السابقين والآخر من مسلمة الفتح وهما قرشيّان أنكر أحدهما على الآخر قراءته، فربما ظنّ عمر أن هشاما أخطأ إذ أنه من قريش ويقرأ بغير ما أقرأ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عمر وهو من قريش، ولعل هشاما قرأ بحرف آخر سمعه من أنصاري أو من غيره من الصحابة من غير قريش، فأنكر عمر ذلك .

ولو راجع الكاتب كتب السنة وبحث فيها لوجد أن هناك أحاديث كثيرة جاءت تبيّن اختلاف وجوه القراءات، فيزول الغموض الذي لفّه وتتضح له الرؤية، فقد أخرج الترمذي في صحيحه (أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ كانَ يقرأُ: فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ

[١٣] صحيح البخاري، كتاب الخصومات، ص ٢٩٩ .

نَعِيمٍ) أي بضمّ الراء، قال ابن الجزري في كتاب النشر في القراءات العشر : (واختلفوا في " فرَوْح " فروى رويس بضمّ الراء وانفرد بذلك ابن مهران عن روح، وقرأ الباقون بفتحها) . [١٤]

وأخرج أبو داوود في سننه عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : " بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون " .

قال ابن الجزري عن (فليفرحوا) : " فروى رويس بالخطاب وهي قراءة أبيّ رضي الله عنه ورويناها مسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم ... وقرأ الباقون بالغيب ...واختلفوا في (مما يجمعون) : فقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس بالخطاب وقرأ الباقون بالغيب .[١٥]

وغير هذا كثير في كتب الحديث والتفسير وغيرها مما صحّ سنده وتواتر ومما انقطع سنده فصار في حكم الشاذ .

وحتى لو كان في حديث عمر وهشام غموض – كما ذكر الكاتب – فهل يؤدي ذلك الغموض إلى ترك نفي وجود الأحرف السبعة وقد جاءت أحاديث أخرى صحيحة في إثباتها رواها أهل السنن .

بل أبشع من ذلك قول الكاتب في الذين اختلفوا في معنى الأحرف السبعة : (والأقوال التي ذهبوا إليها لا تعدو أن تكون احتمالات لا يدعمها دليل، وإنما هي خواطر خطرت ببال أصحابها ثم سارت وانتشرت)، وما كان للعلماء أن يفسّروا كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم على هواهم أو بخواطر تخطر ببالهم، بل هو المنقول أو المُجتهد فيه بعلم، وفي معنى ذلك يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري : (وتتمّة ذلك أن يُقال : إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهّي أي أنّ كل أحد يغيّر الكلمة بمرادفها في لغته، بل المراعى في ذلك السماع من النبي صلى الله عليه وسلم) .[١٦]

أما ما نقرأ به من قراءات اليوم فقد أخبر الكاتب أنه من صنع أعداء الإسلام فقال : (والخلافات التي نجمت قرونها بين المسلمين، والتي وردت بها الروايات، لا تتصل

[١٤] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ٤/ ٣٧٧ .

[١٥] ابن الجزري، مرجع سبق ذكره، ص ٦٨٣ .

[١٦] الحافظ ابن حجر، مرجع سبق ذكره، ص ٥٤ .

بقراءات الصحابة وتلاميذ الصحابة، وإنما كانت ترجع تلك الخلافات كلها إلى أعداء الإسلام، حيث كانوا يتلاعبون بالقرآن، وكانوا يريدون أن يدسّوا فيه ما ليس منه) .

فهل يعني الكاتب أن كل القراءات العشرة المتواترة التي نقرأ بها اليوم محرّفة ؟ وأنها من صنع أعداء الإسلام ؟ في أي مصدر وجد الكاتب هذا ؟ وهل كل أولئك القراء والمحققين وكل جهودهم في حفظ كتاب الله تعالى ضاعت بسبب نظرية الكاتب الذي يريد أن يثبت أنه لا وجود للأحرف السبعة ولا للقراءات المتواترة ليثبت أن القرآن الكريم قراءة واحدة كُتبت في مصحف واحد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثم بقي متداولا هكذا إلى يومنا هذا ؟ فإذا كان ذلك فأين هو هذا المصحف ؟ وما هي هذه القراءة ؟

لقد اختلف العلماء في هذه القراءات المتواترة هل هي مشتملة على الأحرف السبعة أم لا على ثلاثة أقوال :

الرأي الأول : ذهب جمع من الفقهاء والقراء إلى أن المصاحف العثمانية كلها مشتملة على جميع الأحرف السبعة وبنوا ذلك على أنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبع التي نزل القرآن بها .

الرأي الثاني : فيرى صاحبه وهو ابن جرير الطبري أن الأحرف السبع لغات سبع سمح للقبائل أن تقرأ بها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تيسيرا وتخفيفا على القبائل غير القرشية الداخلة حديثا في الإسلام (فلما اعتادوا أسلوب القرآن عدلوا عن القراءة بالأحرف الستة واقتصروا على الحرف الواحد الذي ارتضاه لهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وجمعهم عليه) .

الرأي الثالث : وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبع فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل عليه السلام متضمنة لم تترك حرفا منها .

وهذا الرأي له ما يقوّيه، وقد يكون هو الصواب، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدلّ عليه وتشهد له .[١٧]

إذن فهذه القراءات العشر صحيحة كلها متواترة، لها أركان معروفة وهي صحّة الإسناد وموافقة العربية والرسم، وهي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، أما القائل بعدم صحة ذلك فنسأل الله لنا وله العافية .

المطلب الثاني : القراءة الواحدة .

واجه الكاتب في محاولة إثبات نظريته حصونا منيعة متراصّة، كلما حاول اختراق حصن فشل، وكلما حاول مواجهة أحدها جاءته مجتمعة، فهو يرى أن القرآن كان مكتوبا في عهد النبوة برسم واحد، أي أن الرسم العثماني الذي هو ركن من أركان القراءة اليوم لا صحّة له عند الكاتب، فوجود الرسم يعني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن الكريم، ووجود الرسم يعني وجود القراءات، ولإثبات عدم وجود الرسم لابد من إثبات عدم وجود القراءات، ولهذا ربط الكاتب بين الكتابة والقراءة فقال : (والصحابة الكبار تلامذة رسول الله هم الذين قاموا بهذا العمل العظيم، وشكّلوا الآيات على قراءة واحدة معروفة كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ولم يكن هناك أي خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في تلك القراءة) .

ويرى الكاتب أنه لا جدوى ولا نفع ولا قيمة من تنوّع القراءات (ولا قيمة لما يُقال في الآيات إنها قُرأت كذا، وقُرأت كذا، وقرأ فلان كذا، وقرأ فلان كذا، فإنه تشويه لصورة القرآن ولبس لمعانيه ليس إلا) .

وبعد أن استعرض نماذج من اختلاف وجوه القراءات قال : (أليس في تلك القراءات تشويه لجمال القرآن ؟ .... هل يجد في تلك الآيات أي روعة وأي جاذبية وأي بلاغة ؟) .

[١٧] التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها، ص ١٢٩ .

وقد ألّف العلماء في توجيه القراءات مؤلفات لا تعدّ ولا تُحصى، وصنّفوا في العلاقة بين اختلاف القراءة والنحو والبلاغة والتفسير والفقه وغيرها مما يعود على العلوم الشرعية بالفائدة والثراء والتنوع، والقراءة قبل ذلك كله سنّة متبعة يلزم قبولها .

أي تشويه لصورة القرآن إذا قرأنا (تبّت يدا أبي لهَب) بفتح الهاء و(تبّت يدا أبي لهْب) بسكونها ؟ وهما كما ذكر مكّي في الكشف (لغتان كالنهَر والنّهْر والسّمَع والسمْع).[١٨]

أيّ تشويه لصورة القرآن إذا قرأنا (ملك أو مالك) و (الصراط أو السراط) و(يخدعون أو يخادعون) و(يطهُرن أو يطّهّرْن) و(مسكين أو مساكين) .

هل ستختفي بلاغة القرآن وروعته وحلاوته إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ بالضاد وبالظاء ؟ وقد قرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورُويس: بالظاء، بمعنى: (متَّهم)، وقرأ الباقون: بالضاد، بمعنى: (البخل)، فعلى هاتين القراءتين جمع الله تعالى له الأمانة وعدم التهمة .

وكان على عميد كلية القرآن الكريم أن يطّلع على كتاب واحد من كتب توجيه القراءات ليزول عنه ما هو فيه من حيرة وشكّ والله المستعان .

وقد قرأنا أن من العلماء من طعنوا في بعض وجوه القراءات لوجود أدلة لديهم على ضعفها في اللغة، أو فضلوا بعض القراءات على بعض لورود أدلة في المعنى فسّروها كذلك، وردّ المحققون ذلك وبيّنوا أن القراءة إن ثبتت بالنقل فلا يردّها قياس عربية ولا فشوّ لغة، ولكن أن تصل الجرأة بمتخصص في علوم القرآن الكريم أن يردّ القراءات الصحيحة على هواه ويرى أنه لا قيمة لها دون أن يقدّم دليلا واحدا – ولو كان خاطئا -فذلك من أعجب العجائب .

فالكاتب يرى أن اختلاف القراءات المتواترة بالسند الصحيح عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لا أساس له من الصحة، (وما نُسب إلى صحابة رسول الله من اختلافهم في قراءة القرآن فرية بلا مرية، وأبعد شيء عن الواقع، وهي حكايات ما لها من خطم ولا أزمة، وما كان لتلك الحكايات أن تتسرب إلى تراثنا لو لم نتساهل في قبولها) .

---

[١٨] مكي القيسي، الكشف، ٢/ ٣٩٠ .

فهي حسب الكاتب قراءة واحدة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا (فرسول الله عليه الصلاة والسلام كان يقرأ القرآن كما قرأه عليه سيدنا جبريل عليه السلام بوحي من الله جل وعلا، وأصحابه رضي الله عنهم كانوا يقرؤون كما سمعوا نبيهم عليه السلام يقرأ، والذين جاؤوا من بعدهم ملزمون حتما بأن يقرؤوه كما سمعوا أصحابه عليه السلام يقرؤون) .

وهذا هو الصواب لولا أن للكاتب فهما آخر، فالقراءات المتواترة والمنقطعة كلها قد رُويت عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أن الكاتب لا يقصد هذا، بل يقصد أن الصحابة سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة واحدة لا غير وفي ذلك يقول : (فنحن في غنى – والحمد لله – عما قرأه فلان وفلان وفلان، ويكفينا ما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ونحن نقول : إن قراءة فلان وفلان وفلان إنما هي القراءة التي أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند الصحيح، وإنما نُسبت إليهم لا لأنها قراءاتهم ولا لأنهم اخترعوها، بل نُسبت إليهم اختيارا لشهرتهم وإتقانهم ولزومهم إياها وأخذ كثير من الناس عنهم دون غيرهم، وفي ذلك يقول الحافظ الداني رحمه الله في جامع البيان : (وإن معنى إضافة كل حرف مما أنزل الله تعالى إلى من أضيف إليه من الصحابة كأبيّ وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وغيره، من قِبَل أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له، وميْلا إليه، لا غير ذلك، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة وآثره على غيره وداوم عليه، ولزمه حتى اشتهر وعُرف به وقُصد فيه وأُخذ عنه، فلذلك أضيف له دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد).[١٩]

فإن كان الكاتب يرى أن الأمة في غنى عن قراءة هؤلاء، فأي القراءة هي الصحيحة التي يجب لزومها والأخذ بها ؟ يقول الكاتب : (ومما لا شكّ فيه أن القراءة التي قرأها

[١٩] جامع البيان للحافظ الداني، ص ٣٥ .

رسول الله وترك عليها الأمة هي التي تُقرأ في الحرمين الشريفين منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، وتُقرأ في معظم أصقاع العالم) .

فإن قلنا للكاتب : إن كنت تقصد رواية حفص عن عاصم فهي قراءة فلان عن فلان، وأنتم في غنى عما قرأه فلان وفلان وفلان، أجاب : (والقراءة التي تُقرأ في الحرمين الشريفين ليست قراءة عاصم ولا غير عاصم، وإنما هي قراءة رسول الله التي قرأها طول حياته، وقرأها الصحابة كلهم بقراءته، وتناقلتها الأجيال بعد الأجيال حتى وصلت إلينا كما نزلت من غير تحوير أو تبديل ... فلنعضّ عليها بالنواجذ ، ولنستغن عما عدا تلك) .

والجواب على هذا يكون من وجهين :

كانت قراءة أهل المدينة قراءة نافع وأبي جعفر، وقراءة أهل مكة هي قراءة بن كثير، ثم انتشرت قراءة أبي عمرو البصري حتى غلبت على أهل العراق والحجاز واليمن والشام ومصر والسودان وشرق إفريقيا إلى القرن العاشر الهجري، وإلى ذلك تشير كتبهم ومخطوطاتهم والمصاحف التي نُسخت في تلك الفترة، فلما حكم العثمانيون بلاد الإسلام نشروا رواية حفص عن عاصم وطبعوا المصاحف بها لسهولة كتابة المصاحف بهذه الرواية فانتشرت في أغلب بلاد الإسلام .

فأي قراءة هي قراءة الحرمين الشريفين ؟ وهل ظهرت النبوة في زمن العثمانيين ؟

والوجه الثاني أنه إذا كانت قراءة الحرمين ليست قراءة عاصم ولا غير عاصم فلِمَن ننسبها ؟ ومَن هم القوم الذين تناقلوها جيلا بعد جيل ؟ فليأتنا الكاتب بإسناده الذي قرأ به القرآن الكريم، على من قرأ ؟ وعلى من قرأ شيخُه ؟ فإذا كان الذي قرأ عليهم قد قرؤوا على شيوخهم بالأسانيد المعروفة المتواترة فهذا يعني أن كل ما نقله أولئك الشيوخ صحيح، وهذا يعني أن كل القراءات العشر صحيحة .

وهذه القراءة التي تُقرأ اليوم في الحرمين وهي رواية حفص عن عاصم من أي طريق نأخذ بها ؟ من طريق الشاطبي أم من طريق ابن الجزري ؟ على ما في الطريقين من خلاف ثبت بالرواية وصحّ بالنّقل .

فالكاتب ليست له حجة ولا دليل ولا برهان، إنما كانت له الجرأة التي لا تُحمد عاقبتها، نسأل الله لنا وله العافية والسلامة .

المبحث الثالث : الطعن في الرسم العثماني .

إن وجود الرسم العثماني يعني أن نظرية الكاتب باطلة، فما كان من الكاتب إلا أن ادّعى تطوّر الكتابة في العهد النبوي وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أمّيا بل كان كاتبا، بل لقد اعتدى على الرسم العثماني فسمّى اختلاف كلماته تحريفا وأن المصاحف التي وصلتنا مخطوطَةً على ما فيها من اختلاف في الرسم والعدّ وخلوّ بعضها من الضبط إنما هو من صنع أعداء الإسلام، وأنّ القرآن إنما كان مكتوبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على هيئة واحدة لم يبيّنها الكاتب .

المطلب الأول : الكتابة في عهد النبي الأميّ .

نفى الكاتب كتابة القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على العسب واللحاف والأكتاف وغيرها، وطعن في رواية البخاري وتكلّم في أسانيدها، وهي رواية زيد بن ثابت رضي الله عنه : (فتتبّعت القرآن أجمعه من العسب والرقاع واللخاف) وتوجد روايات أخرى غيرها كثيرة، مثل حديث البراء بن عازب رضي الله عنه : (كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع لي زيدا وليجيء باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة) .

وأصرّ الكاتب – دون تقديم دليل علمي – على أن القرآن كان يُكتب في أوراق على طريقة البطاقات الحديثة، وكاد يخبرنا الكاتب أن القرآن الكريم كان يُكتب حينها بالطابعة !!!

وأصرّ الكاتب على توفّر الكتابة عند العرب وتوفّر وسائلها وأدواتها، ولا أدري هل غفل الكاتب أم تغافل عن البيئة التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ابن كثير الذي ولد سنة ٧٠٠ للهجرة يقول : (وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جدا) وأضاف : (والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تُحكم جيدا، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى) .[٢٠]

وفي بحث محكم للأستاذ أشرف عمر وهبة، ذكر الباحث الرقّ كوسيلة للكتابة، يُنتج من الجلود، - والجلود كانت غالية الثمن عند العرب - ، وأحيانا كانوا ينتجونه من

[٢٠] ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٩٠ .

جلود الميْتة (للمساهمة في تخفيض ثمنه) وكانت صناعة الرق تمرّ بمراحل حتى يصل إلى هيئته الصالحة للكتابة.

أما الورق، فقد أدى توسع حركة الفتوحات الإسلامية شرقا، إلى أن يصل المسلمون إلى تخوم الصين (سمرقند) وفي إحدى المعارك عام ٧٥١م أسر المسلمون مجموعة من الصينيين ممن كانوا خبراء في صناعة الورق، فأسسوا بمساعدتهم أول مصنع للورق في ديار الإسلام في مدينة سمرقند، وبعد فترة محدودة أضحت هذه المدينة مركزا معروفا لإنتاج الورق، ومنها انتقلت صناعة الورق إلى بغداد ، التي كانت حاضرة الإسلام وأعظم مدنه وقتها، حيث أسس الفضل بن يحيى البرمكي، وزير هارون الرشيد، أول مصنع للورق في بغداد عام ٧٩٣م .[٢١]

ذكر المستشرق السويسري غريغور شولر : (فعندما ظهر الإسلام في القرن السابع لم يكن العرب قد عرفوا صناعة الورق بعد، إذ تفرّد الصينيّون بأسرار هذه الصّنعة ولم يتعلّمها المسلمون إلا بعد أن أسروا عددا منهم في معركة طلاس، وقبلها لم يعرفوا من مواد الكتابة سوى البردي والقرطاس والرّق والجلد) .[٢٢]

ومعركة طلاس كانت سنة ٧٥١ م وأول مصنع للورق في بغداد كان سنة ٧٩٣ م كما ذكرنا فأي مصدر اعتمد عليه الكاتب في بيان أن وسائل الكتابة كانت متوفرة عند العرب ؟

كل المصادر التاريخية تشير إلى هذا، فما هي مصادر الكاتب التي اعتمد عليها في إثبات توفّر وسائل الكتاية وأدواتها وبراعة العرب في الكتابة وكثرة الكتّاب ؟ وقد كان العرب يستخدمون الرّقّ المصنوع من جلود الحيوانات ذا التكلفة العالية فلم يكونوا يستخدمونه إلا للضرورة ككتابة الرسائل وغيرها، ولهذا ثبت في الحديث أن الوحي كان يكتب على الرقاع والعسب ووغيرها من الوسائل المتاحة. (وفي القرن الثامن للميلاد شرع العرب يستخدمون الورق الذي ابتكره الصينيون عام ١٠٥ للميلاد بدلا من الرق (الجلود) بعد فتح مدينة سمرقند حيث أسسوا مصنعا لصناعة الورق عام ٧٥١ م) وتجمع المراجع التاريخية على ذلك ومنها الأوروبية (وعنهم – أي عن العرب – أخذته

---

[٢١] أشرف عمر وهبة، الورق : تاريخه وتطوره، ص ١٢ .

[٢٢] غريغور شولر، تدوين القرآن، ص ١٢ .

البلدان الأوروبية في القرن الثاني عشر، وقد أنشئ أول مصنع للورق في إنكلترا في القرن الخامس عشر، وحوالي ١٤٣٦ م اخترع غوتنبرغ الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة أو المتحركة فكان ذلك الاختراع نقطة تحول في تاريخ الكتاب نقلته من طور المخطوطة إلى طور المطبوعة) .[٢٣]

ثم هَب أن فرضية توفّر وسائل الكتابة وكثرة الكتّاب صحيحة، هل نقبل بها من أجل الطعن في النصوص الصحيحة التي تثبت أن القرآن جُمع في المصحف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحتى لو كانت الكتابة ووسائلها متوفّرين فإن القرآن الكريم لم يُجمع في مصحف واحد مكتوب بين دفّتين في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل جمعه الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

إن التعويل في جمع القرآن كان على الحفظ لا على الكتابة، فالنسخ قد تتعرض للتلف ولهذا خصّ الله عز وجل هذه الأمة بخاصة التلقي والتواتر، بل إن العرب كانوا يعتمدون على الحفظ في كل أمورهم، وكان التوثيق نادرا، وقد علم ربنا سبحانه وتعالى أن أهل الكتاب سيجادلون في هذا فقال : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) [٢٤] وعلم ربنا سبحانه أنهم سيجادلون في كتابته فقال لنبيّه عليه الصلاة والسلام : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون)[٢٥]، فالقرآن الكريم آيات بينات محفوظة في صدور العلماء الذين اختصّهم الله بحفظه، جاء في تفسير البغوي : قال الحسن : يعني القرآن آيات بينات (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن .

إن الطاعنين في جمع القرآن لن يعترفوا بذلك ولو جاءتهم كل آية، ألم تر أن مَن قبلهم كان القرآن يُتلى عليهم فقالوا : (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه)[٢٦] فردّ الله عليهم فقال : (أو لم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم)[٢٧]، أما المؤمنون فعليهم

---

[٢٣] عبير سعد، تاريخ الكتابة العربية، ص ٣٦ .

[٢٤] سورة العنكبوت آية ٤٦ .

[٢٥] سورة العنكبوت آية ٤٨، ٤٩ .

[٢٦] سورة العنكبوت، الآية ٥٠ .

[٢٧] سورة العنكبوت، الآية ٥١ .

بالثبات (ألمّ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون)[٢٨] وعليهم بالمجاهدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) [٢٩].

لقد بدأت حفظ القرآن الكريم حوالي سنة ١٩٩٩ م ولم نستعمل في ذلك مصحفا أبدا، وكنا نتلقى القرآن من الشيخ في اللوحة ثم نمحو الثمن بعد حفظه، بل إن المصاحف كانت نادرة في المساجد، ولم يكن المصحف متوفرا للعامة إلا نادرا، ولكن القرآن كان محفوظا، إذ لم تكن هناك مدينة أو قرية أو حي إلا وفيه مسجد ومدرسة يُحفظ فيهما القرآن الكريم ويستمر الجيل بعد الجيل في تلقيه ونقله .

ها أنا أتكلم لكم عن سنة ١٩٩٩ م، والكاتب يتحدث عن وفرة الوسائل في القرن الأول الهجري !!!

وفي معنى هذا يقول الأستاذ أحمد شرشال في كتابه (مخالفات النساخ لمرسوم المصحف الإمام) : (فاعتقادهم أن القرآن يُتلقى من الصحف والمصاحف خطأ في التصور، فالأساس الذي انطلق منه هؤلاء وبنوا عليه دعواهم فاسدٌ، وما بُني على فاسد فهو فاسد مرفوض، ولم يقل أحد من أئمة القراءة أن القرآن يُتلقى من المصاحف والخط .

إن حفظ القرآن وتلاوته لم يعتمدا على المصاحف وحدها، بل على التلقي والمشافهة، والسماع والرواية، وهي سنّة متبعة يأخذها الأول عن الآخر) .[٣٠]

ثم أضاف : (فالقراءة رواية وسند وتلقٍّ، وما خطّ المصحف إلا كالتذكرة) .

ويقول الدكتور أكرم الدليمي في كتابه : (جمع القرآن) : (ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب يُعَدُّ أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة) .

ولكن العجب العجاب كيف يغفل عميد كلية القرآن عن هذا ؟ أين حفظ الباحث القرآن وكيف تلقاه وكيف تلقى العلم ؟

---

[٢٨] سورة العنكبوت، الآية ١ .

[٢٩] سورة العنكبوت، الآية ٦٩ .

[٣٠] مخالفات النساخ لأحمد شرشال، ص ٢٧ .

وليثبت الكاتب أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب المصحف وأنّ الكتابة والمصاحف كانت متوفّرة اعتبر أن تفسير كلمة (أمّي) في الآية (هو الذي بعث في الأمّيّين رسولا منهم)[٣١] لا يعني الذي لا يقرأ ولا يكتب، بل هو نسبة إلى أمّ القرى، قال الكاتب : (لماذا عدلوا عن معنى ثابت إلى غير ثابت ؟ وهنا يثور سؤال : لماذا جنح أهل اللغة وأهل التفسير في تأويل الآية للمعنى الأول دون الآخر مع أن المعنى الآخر ثابت متحقق، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه السابقين الأوّلين كلهم ولدوا في أم القرى ونشؤوا في أم القرى، فالنبي أمّي وقومه وأصحابه أمّيّون، وهو أمر لم يختلف فيه اثنان) .

إن المعنى الثابت المتحقق قد جاء في قول الله تعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنّا أمّة أمّيّة لا نكتب ولا نحسب) .[٣٢]

وقد بيّن الله عز وجل ما كان عليه غالبية القوم، وإلا فقد كان فيهم قليل من يقرأ ويكتب، جاء في شرح الحديث : (أي: نحنُ العرَبَ تَغلِبُ علينا الأمِّيَّةُ، وهي البَقاءُ على أصْلِ وِلادةِ الأمِّ، يعني: أنَّنا لا نَعرِفُ القِراءةَ والكِتابةَ، والحِسابَ، أو المرادُ بالحِسابِ حِسابُ النُّجومِ والمنازِلِ والفَلَكِ، وذلك باعتبارِ ما غلَب عليهم، وإلَّا فقدْ كان في العربِ مَن يعرِفُ ذلك، ولكنَّهم قِلَّةٌ) .[٣٣]

وكعادته طعن الكاتب في صحة الحديث فقال : (تلك الرواية في جميع طرقها جاءت عن الأسود بن قيس، وهو رجل تكلّم فيه، قال محمد بن أحمد بن البراء عن علي ابن المديني : روى عن عشرة مجهولين لا يُعرفون، وقال الذهبي : قال ابن المديني : الأسود يروي عن مجاهيل، وقيل إنه من الرواة الذين ضعّفهم الإمام أحمد)، ويكفينا أن الحديث في صحيح البخاري، غير أنّي أودّ تبيان تدليس الكاتب :

---

[٣١] سورة الجمعة، الآية ٢ .

[٣٢] صحيح البخاري، ص ٢٣٧ .

[٣٣] موقع موسوعة الدرر السنيّة، شروح الأحاديث .

أما قوله (روى عن عشرة مجاهيل لا يُعرفون فقد نقله من كتاب تهذيب الكمال للحافظ المزي، وترك قبل ذلك : قال إسحاق بن منصور عن يحي بن معين، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأحمد بن عبد الله العِجْلي : ثقة، زاد العجلي : حسن الحديث) .[٣٤]

ونقل من كتاب ميزان الاعتدال قول ابن المديني : (الأسود يروي عن مجاهيل) والذهبي كان يترجم لثعلبة بن عباد، أما الأسود بن قيس فلم يترجم له .

ثم استعمل الكاتب صيغة (وقيل)، قيل ماذا ؟ (وقيل إنه من الرواة الذين ضعّفهم الإمام أحمد) نقل ذلك من بحث للشيخ عبد العزيز اللحيدان عنوانه : (شيوخ شعبة الذين ضعّفهم الإمام أحمد) وبالعودة إلى البحث نجد أنه لا أثر للأسود بن قيس بينهم، إنما جعله الباحث في ملحق في آخر البحث بعنوان : (فهرس شيوخ شعبة في الكتب الستة الذين ذكرهم المزي في ترجمة شعبة " تهذيب الكمال " غير المذكورين في هذا البحث، مع بيان حكم الحافظ بن حجر عليهم) قال : الأسود بن قيس ثقة .

وبالرجوع إلى تقريب التهذيب نجده كذلك : (الأسود بن قيس العبدي، ويقال : العجلي،[٣٥] الكوفي، يكنّى أبا قيس، ثقة، من الرابعة) .[٣٦]

أكلّ هذا تدليس ؟ لماذا ؟ ليبيّن أن الرواية ضعيفة ؟؟ وهي في صحيح البخاري ؟ والأسود بن قيس ثقة ؟

ومحاولة استعطاف الناس بأنّ من سوء الأدب وصف النبيّ صلى الله عليه وسلم بالأمّي لا تُجدي نفعا، فصفة الأمّي (مدح وشرف له، وعيب في غيره) وأنّ (أجلّ معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأشرفها أنّه كان رجلا أمّيّا، لم يتعلّم من أستاذ، ولم يطالع كتابا، ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء، لأنه ما كانت مكة بلدة العلماء، وما غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة غيبة طويلة يمكن أن يقال : إن في مدة تلك الغيبة تعلّم العلوم الكثيرة، ثم إنه مع ذلك فتح الله عليه باب العلم والتحقيق، وأظهر عليه هذا القرآن المشتمل على علوم الأوّلين والآخرين) .[٣٧]

---

[٣٤] تهذيب الكمال للمزي، ٣/ ٢٣٠ .

[٣٥] وفي تهذيب الكمال (البَجَليّ) بدل (العجليّ) .

[٣٦] تقريب التهذيب لابن حجر، ص ١٤٦ .

[٣٧] قحطان الدوري، أميّة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ص ٢٧ .

ولو كان لفظ الأمّيّ عيبا في حقّه صلى الله عليه وسلم لدافع عن نفسه ولو كان لفظ الأمّيّ يعني أنّه من أمّ القرى لبيّن ذلك ولبيّنه الصحابة رضي الله عنه ولدافعوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ضد الطاعنين فيه، فالنبي صلى الله عليه وسلم (وُصف بالأمّي بصريح القرآن الكريم والحديث الشريف، وأنّ المراد بالأمي هو أنه لا يقرأ ولا يكتب كما هو ظاهر من المستفيض من كلام العرب والثابت من أقوال الصحابة والتابعين، وهم أعرف بحاله صلى الله عليه وسلم من غيرهم، ولذلك حين تعرّضوا لبيان سبب النسبة ذكروا أقوالا عديدة تلتقي كلها في أنّه لا يعرف القراءة والكتابة) .[٣٨]

وقد حاول الكاتب أن يُظهر أن العرب كانوا أمة عالمة كاتبة وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان كاتبا فقط ليثبت أن القرآن كان مكتوبا في عهده في مصاحف كثيرة متوافرة، ولم يدرك الكاتب بأن المغزى من أميّة النبي صلى الله عليه وسلم وقومه هو سدّ كل ما قد يخطر على بال المفترين والمبطلين أن القرآن الكريم صناعة محمد صلى الله عليه وسلم وحده أو بمساعدة من قومه الفصحاء البلغاء، وأنّ كونهم أميّين حجة أنّ هذا القرآن منزل من عند الله وحده، خاصة أنهم كانوا محاطين بقوم من أهل الكتاب يسخرون منهم ويتوعّدونهم (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) .[٣٩]

إنّ تحطيم فكرة الأمّيّة يعني تجسيد فكرة اللّمسة البشرية في القرآن الكريم، (كل هذا الجهد الشيطاني يهدف إلى طمس نبوة الرسول، وإلغاء سماوية الرسالة الإسلامية، ونسبها إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم) .[٤٠]

ونحن إذ نتمسّك بصحة الأمّية وكونها شرفا للنبي لا عيبا، فإننا نقف حاجزا ضد مطامع المتربصين الذين يريدون التأكيد على (معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[٣٨] قحطان الدوري، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦ .

[٣٩] سورة البقرة، الآية ٨٨ .

[٤٠] علي شواخ إسحاق، ماذا حول أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ١٤ .

القراءة والكتابة، الهدف منها الوصول إلى طرح أصالة القرآن وإنكار مصدر ألوهيته، والتشديد على أنّه من تأليفه ومن نتاج أفكاره التي تعكس بيئة مجتمعه) .[٤١]

إن هذه الآثار التي يراها الكاتب غير مقنعة ويرى بعضها افتراءات وأكاذيب ويظنّ أنه يجب التخلي عنها واستبدالها بأفكار أكثر عقلانية، هي التي وقفت في وجه المتربصين ومنعتهم من الوصول إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وتحريفهما، وهم أشدّ الناس فرحا بسقوط قدسيّة هذه الآثار وصحّتها لو سقطت، ولكن الله قد تكفّل بحفظ كتابه وسخّر لذلك خيرة خلقه إلى يوم الدين .

وإن هذه اللفتات البارعة للكاتب لو كانت صحيحة لسبقه إليها جهابذة العلماء في القرون الأولى فإنه كانوا أمضى عقولا وأحدّ فكرا .

المطلب الثاني : إقرار الكاتب بتحريف القرآن الكريم .

انطلق الكاتب من فكرة أن القرآن كان مكتوبا بالكتابة التي يتعارف الناس عليها اليوم بما فيها من نقط وشكل وضبط، وأن المصاحف المخطوطة القديمة التي لا تزال محفوظة إلى يومنا هذا هي من صنع أعداء الإسلام الذين حاربوه ولا يزالون، وحجة الكاتب في ذلك أن (حملة أمانة القرآن قد يخلدون إلى النوم، وقد تعتريهم غفوة من حين لآخر، ولكن الأعداء الحاقدين لا ينامون ولا يفترون، وهم في سهر دائم للكيد ضد القرآن) .

والمطّلع على طبقات القراء وتراجمهم وسيرهم ليستحيي حين يقرأ كلام الكاتب، فهم قوم قد أفنوا أعمارهم وأوقاتهم في سبيل الله، وبذلوا أموالهم وضحّوا بشبابهم في سبيل الله، ليتبيّن للكاتب بعد خمسة عشر قرنا أنهم كانوا يأخذون قيلولة بينما كان أعداء الإسلام يكتبون المصاحف ويضعونها في المكتبات العامة والمساجد الكبيرة ليخرجوها للناس بعد حقبة من الزمن ليقولوا لهم إن هذه مخطوطات المصاحف القديمة .

وكأن أولئك العلماء الذين كتبوا في علم الضبط والشكل والنقط وألّفوا المتون والمنظومات كانوا يلعبون ؟

---

[٤١] بهجة كامل عبد اللطيف، صور من افتراءات المستشرقين حول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبيان بطلانها، ص ٧٢٢ .

كل المراجع التاريخية نقلت لنا أن العرب كانت لهم (ملكة قوية لا يحتاجون بها إلى وضع علامات لتميّز الحروف المتشابهة في الصورة كالجيم والحاء والخاء، فيدركون من المعنى سياق المقام وقرائن الأحوال، لذلك لم يكن الشكل والإعجام معروفا عندهم، وفي ابتداء ظهورهما كانوا يكرهونهما لأنهم يرون ذلك تشويها للمكتوب وتحصيلا للحاصل .

فلما ظهر الإسلام وانتشر واختلط العرب بالأعاجم يوم فتحوا بلادهم وصاهروهم في صدر الإسلام، بدأ اللحن في ألفاظهم، فخشي العرب أن تفسد الألسنة وتضيع من ذلك لغتهم، وأن يتطرّق الخطأ في القرآن وهو عماد الدين، فكل هذه الأسباب حفزت العرب إلى وضع طريقة في الكتابة لإصلاح ألسنة الأعاجم عند القراءة، وكانت الطريقة لإصلاح اللحن هي شكل الحروف، والمقصود بالشكل هو ضبط الكلمة بالحركات لتؤدي المعنى المقصود منها وفقا للغة العرب الصحيحة) . [٤٢]

وقد تعرّضت الكتابة الخطية العربية إلى كثير من التحسين بدءا بالكوفة حيث ظهر الخط الكوفي ثم (نبغ ابن مقلة وزير المقتدر بالله أحد خلفاء الدولة العباسية، فلقد حوّل بمهارته الكتابة من صورتها الكوفية إلى الصورة الحالية .

وحذا حذوه في ذلك أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب، وتبعهما كثير من العلماء على هذا التحوير والتحسين حتى وصلت الكتابة العربية إلى ما هي عليه الآن من جمال الرونق وحسن الوضع) . [٤٣]

هذا من ناحية صورة الخط وتحسينه، أما من ناحية النقط والشكل فكان أول من وضع نقط الإعراب أبو الأسود الدؤلي، ثم وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر نقط الإعجام، ثم حسّن كل ذلك العلامة خليل بن أحمد الفراهيدي .

كل هذه المعطيات التي نقلتها المصادر التاريخية تركها الكاتب محاولا أن يبيّن أن القرآن الكريم كان مكتوبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم برسم واحد منقوطا مشكولا .

وليت الكاتب اكتفى بذلك، فقد ذكر الكاتب دليلا يوضّح اختلاف القراءة في قوله تعالى : (وهو الذي يرسل الرياح بُشْرا)[٤٤]، فذكر اختلاف القراء في كلمة " بُشرا " ثم قال :

[٤٢] محمود عباس حمودة، تطور الكتابة الخطية العربية، ص ٩٩ .

[٤٣] كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص ٣٥٢ .

ف" بُشْرا " و" نَشْرا " و" نُشْرا " و" نُشُرا " أربع كلمات ... فأي هذه الأربع نزل بها سيدنا جبريل عليه السلام ؟) .

فالكاتب يرى أن أحد هذه الأربع نزل بها جبريل عليه السلام، (وما عدا ذلك مما قرأه الناس فهو كلام الناس، وليس كلام الله) .

كيف يكون اختلاف وجوه القراءة المحتملة للرسم قراءة بشر ؟ وهذه القراءات كلها قد صحّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله ؟

ففي النشر : (واختلفوا في " بُشْرا " هنا وفي الفرقان والنمل : فقرأ عاصم بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين في المواضع الثلاثة، وقرأ ابن عامر بالنون وضمّها وإسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون وفتحها وإسكان الشين، وقرأ الباقون بالنون وضمّها وإسكان الشين) .[٤٥]

لكن المصيبة الأعظم إطلاق الكاتب لفظ (التحريف) على هذه القراءات المتواترة - ما عدا قراءة الحرمين كما ذكر سابقا - ، متسائلا : (ماذا وراء فكرة تعرّي القرآن من النقاط والحركات ؟ وهل هي إلا تمهيد وتخطيط لتحريف القرآن وتشويه صورته وتجريده من الروعة والبلاغة والإعجاز ؟ وما هي إلا مكر وتدبير للبس معاني القرآن ومفاهيمه على الناس) .

والمطّلع على كتب العلماء سيتبيّن له أن اختلاف وجوه القراءة ما هو إلا تنوّع نتج عنه اختلاف في مسائل اللغة والفقه والتفسير وغيرها، وفي ذلك رحمة ونعمة وتيسير من الله عز وجل على عباده المؤمنين .

وإنكار الكاتب لاختلاف هذه الوجوه وجحدها أمر خطير، يقول البربهاري في شرح السنة : (فمن أقرّ بما في هذا الكتاب وآمن به واتّخذه إماما ولم يشكّ في حرف منه ولم يجحد حرفا واحدا فهو صاحب سنة وجماعة كامل قد كملت فيه السنة، ومن جحد حرفا مما في هذا الكتاب أو شكّ في حرف منه أو شكّ أو وقف فهو صاحب هوى .

---

[٤٤] سورة الأعراف، الآية ٥٦ .

[٤٥] ابن الجزري، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩ .

ومن جحد أو شكّ في حرف من القرآن أو في شيء جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الله تعالى مكذّبا، فاتّق الله واحذر وتعهّد إيمانك) . [٤٦]

وقد تظاهرت نصوص الأئمة في تكفير من أنكر حرفًا من القرآن: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : من كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع، كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، وقال عبدالله بن المبارك: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر، ومن قال: لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر كما في فتاوى ابن تيمية، ويقول ابن بطة في الإبانة الصغرى: من كذب بآيةٍ أو بحرفٍ من القرآن، أو ردّ شيئًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر.

ولو كان الكاتب في زمن لم تصله إلا رواية واحدة أو لم يطّلع على اختلاف القوم وأسانيدهم لعذرناه بجهله، أما وقد اتّضح الأمر واستوى فلا عذر له، قال الزرقاني في مناهل العرفان : إنما يحكم بالتكفير على من علم تواترها ثم أنكره، والشيء قد يكون متواترًا عند قوم غير متواتر عند آخرين، وقد يكون متواترًا في وقت دون آخر.

خاتمة :

جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن خشية أن يضيع بموت القراء، فإن القرآن عندنا ثابت بالنقل والرواية موثّق بالكتابة، وجمع عثمان رضي الله عنه القرآن في مصحف إمام موحّد ليكون مرجعا يضع به حدّا للتوسّع الهائل في الاختلاف ولتُضبط القراءة على العرضة الأخيرة بإزالة ما ثبت نسخه وإزالة ما زيد في بعض مصاحف الصحابة من كلمات تفسيرية ليست قرآنا .

وقد يسأل سائل : كيف كان اختلاف الناس في القراءة في ذلك العهد سببا في احتمال حدوث الفتنة والنزاع الذي قد يصل إلى الاقتتال ؟ وجوابه فيما نراه اليوم من نزاع وفرقة وتبديع وتفسيق بسبب قول قاله عالم أو مسألة فقهية خالف فيها عالم آخر، فتعصّب الناس حتى اقتتلوا في بعض البلدان والله المستعان .

---

[٤٦] الحسن البربهاري، شرح السنة، ص ١٣٥ .

فإذا كان هذا بسبب قول عالم أو فتوى مذهب معين، فكيف سيكون إذا تعلّق الأمر بقراءة قرأها قوم على صحابي يظنّون أنه أفضل الصحابة وأن قراءته أفضل القراءات، هذا إن لم يعدّوها هي الصحيحة دون سواها .

ولم يستوعب الكاتب كل هذا، ولم يجد حرجا في الطعن في كل صحيح من الآثار يدلّ على جمع القرآن في عهد الخليفتين، ولم يجد بُدّا من تكذيب كل ما يتعلّق بذلك من التفاسير، والطعن في الرجال، ونفي وجود الحروف السبعة والقراءات العشرة والرسم العثماني، ملخّصا كل ذلك على أنه تحريف للقرآن الكريم، كل هذا ليحقّق أمنيته في إثبات أن القرآن جمعه النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف واحد قبل موته .

إن الله عز وجل لو أراد لجُمع القرآن في عهد نبيه وكُتبَ تفسيره، ولبيّن الفقه وأصوله ولجُمع الحديث وشروحه، ولكنّ الله أراد أن يرفع أمّته بالعلم والعلم، والصبر والبذل والتضحية، وما نيل المطالب بالتمني، قال الشيخ أحمد سالم في كتابه (جهود الصحابة في جمع القرآن) : (وبيت الأوهام والأماني لا سقف له، ولا يزال الناس يطلبون ما هو أمثل، حتى لربّما ودّ أناس لو أوحي لكل مسلم بنسخة من القرآن يتنزّل عليه بها ملك ... وحيث وُجد أناس تقذف بهم الأماني ودّوا لو جُمع القرآن مكتوبا على عين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجد آخرون تقذف بهم الأماني ودّوا لو نزلت أحكام الله قطعيّة كلها مجموعة في كتاب لا تُحوج لنظر واجتهاد، وكل أولئك يغفلون عما في التسبب لحفظ الدين قرآنا وأحكاما بعمل الأمة واجتهادها من حكم جليلة، ويغفلون عن أن جذوة الدين لا تبقى حية في النفوس إلا بمثل هذا الاجتهاد والعمل) .

نتائج البحث :

- أهمّ نتيجة نصل إليها في ختام هذا البحث أن الكاتب لم يزد على أن ضرّ نفسه، فلم يقدّم دليلا واحدا يدعم نظريّته، وكل ما قام به إما قصص نسجها أو صحيح طعن فيه .

- لا يطعن في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا كافر أو مبتدع، والسلامة في الإيمان والتسليم .

- لا أحد ينكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرص على كتابة القرآن الكريم، لكن المصادر كلها تُجمع على أن كتابته لم تكن إلا في وسائل بدائية، وأنّ الحفظ كان

أهم من الكتابة، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب القرآن في مصحف لتعذّر ذلك لأن الوحي إنما كان ينزل منجّما ولوجود الناسخ والمنسوخ، وتأخّر للعرضة الأخيرة .

- الأحرف السبعة ثابتة والقراءات المتواترة صحيحة لا شكّ فيها، والرسم العثماني ثابت أجمع العلماء على اتباعه وعدم مخالفته .

- القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة وفهم العلماء سلسلة إذا قُطع أدناها ضاع أعلاها، ولهذا لازال القوم يترصّدون بالعلماء وبالصحابة يطعنون فيهم لعلهم يجدون ثغرة للطعن في نبيهم وفي الكتاب الذي أنزل عليه، قال ابن تيمية رحمه الله : كما قال الإمام مالك وغيره من أئمة العلم : هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين .

التوصيات والاقتراحات :

- ننصح القراء والمتخصصين في علوم القرآن والقراءات أن يأخذوا علوم القرآن من كتب الأئمة الذين ألّفوها على منهج سلفنا الصالح .

- ننصح دور النشر والمواقع الالكترونية التي تتيح الاستفادة من هذا الكتاب قراءة وتحميلا أن تصادره وتحذفه كي لا يصل إلى القراء درءا للمفاسد .

- ننصح دور النشر أن تعرض الكتب على أهل العلم والمتخصصين قبل نشرها .

- نلتمس من السادة العلماء أن يطّلعوا على مثل هذه المؤلفات ويمنعوا إصدارها ونشرها وتوزيعها، وعلى أولياء الأمور أن يمنعوها من التداول ورقيا أو إلكترونيا .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

صحيح البخاري، دار التقوى، مصر، الطبعة ١، ٢٠١٢ .

قائمة الكتب :

مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتب الإسلامي، سوريا، الطبعة ٢، ١٩٧٩.

أبو بكر عبد الغني اللبيب، الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة، تحقيق عبد العلي أيت زعبول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة ١، ٢٠١١ .

المحدث الألباني، صحيح الترمذي، كتاب تفسير القرآن، الجزء ٣، مكتبة المعارف، السعودية، الطبعة ١، ٢٠٠٠ .

الحافظ ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومن معه، الجزء ١٥، دار الرسالة العالمية، سوريا، الطبعة ١، ٢٠١٣ .

محمد ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق خالد أبو الجود، الجزء ٤، دار المحسن، الجزائر، الطبعة ١، ٢٠١٦ .

التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي، دار الوعي، الجزائر، ٢٠٠٨ .

مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة ٣، ١٩٨٤، الجزء ٢ .

جامع البيان للحافظ الداني، تحقيق محمد صدوق، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة ١، ٢٠٠٥ .

ابن كثير، فضائل القرآن، تحقيق الحويني، مكتبة ابن تيمية، مصر،، الطبعة ١، ١٩٩٥.

عبير سعد، تاريخ الكتابة العربية، دار ومكتبة الكندي، الأردن، الطبعة ١، ٢٠١٥ .

قحطان عبد الرحمن الدوري، أميّة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، دار البشير، الأردن، الطبعة ١، ١٩٩٦ .

علي شواخ إسحاق، ماذا حول أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، دار السلام، لبنان، الطبعة ١ . ١٩٧٨ .

محمود عباس حمودة، تطور الكتابة الخطية العربية، دار نهضة الشرق، مصر، الطبعة ١، ٢٠٠٠ .

كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، دار الإيمان، مصر، الطبعة ٢، ٢٠٠٥ .

الحسن البربهاري، شرح السنة، تحقيق خالد الردادي، مكتبة الغرباء، السعودية، الطبعة ١، ١٩٩٣ .

شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي، سوريا، تحقيق الأرناؤوط والشاويش، الطبعة ٢، ١٩٨٣ .

أكرم الدليمي، جمع القرآن : دراسة تحليلية لمروياته، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة ١، ٢٠٠٦ .

أحمد شرشال، مخالفات النساخ ولجان المراجعة والتصحيح لمرسوم المصحف الإمام، دار الحرمين، مصر، الطبعة ١، ٢٠٠٢ .

محمد شرّاب، الإمام الزهري عالم الحجاز والشام، دار القلم، سوريا، الطبعة ١، ١٩٩٣ .

أحمد سالم، جهود الصحابة في جمع القرآن دراسة تحليلة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة ١، ٢٠١٣ .

عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، السعودية، الطبعة ٢، ٢٠٠٢ .الحافظ بن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، السعودية، ٢٠٠٠ .

الإمام الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، لبنان، الجزء١، ١٩٦٣ .

الحافظ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، الجزء ٣، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة ١، ١٩٨٣ .

المجلات العلمية :

أشرف عمر وهبة، الورق : تاريخه وتطوره، مجلة (سيبرايانس جورنال)، العدد ٤٤ ، ديسمبر ٢٠١٦م .

بهجة كامل عبد اللطيف، صور من افتراءات المستشرقين حول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبيان بطلانها، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ٢٠٠٩ .

المواقع الإلكترونية :

غريغور شولر، تدوين القرآن : تعليق على أطروحتي بورتون ووانسبرو، ترجمة حسام صبري، المنشورات الالكترونية مركز تفسير للدراسات القرآنية :
https://tafsir.net/uploads/translations/3393/669/5c49b5238d353.pdf

موقع موسوعة الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، شروح الأحاديث :
https://www.dorar.net/hadith/sharh/132839

عبد العزيز اللحيدان، شيوخ شعبة الذين ضعفهم الإمام أحمد، موقع جامع الكتب الإسلامية :
https://ketabonline.com/ar/books/43005/read?part=1&page=111&index=3658245&q=%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D9%88%D8%AF